واحتراز ، هذه المحنة الخطابية والجدلية التي يهيأ لها في بقعة من جبل لبنان ، ليتشرف بها لبنان » (٤٣) ٠

ان الدعوة الى اللقاء على الاديان تحمل أوضح تعابير الفهم الرجعي للمسألة الدينية ، بوصفها مستعدة لالغاء الاسلام (التحرري) شرط أن يرافقه الغاء اليهودية (المعادية) وصولا الى حالة من التصالح « اللبناني » الذي « يتساوى » أمامه التطرف العربي والتطرف «اليهودي» الصهيوني ، ولا يبقى من خطر سوى « الالحاد والشيوعية » ٠ ويتذكر المرء أمام دعوة لبنان هذه ، الاستهلال الديني الملفت الذي استهل به أنور السادات خطابه الشهير في الكنيست الاسرائيلي (توافق مع اسرائيل أوله الدين وأخره العداء للشيوعية مرورا بالتصالح مع الغرب « المؤمن ») ٠

و « التطرف » الذي تمثله اسرائيل يهدد عظيم التهديد وظيفة « الاعتدال الذي مثله لبنان وليس ايديولوجية فحسب ، فهناك خوف اقتصادي (١) من التطور الاسرائيلي وتقدم « العلوم والعقول اليهودية » وهناك خوف استراتيجي من ذلك البلد التوسعي الذي يقع « في امت الجوار » (٩) ممزوج بخرافية النظرة الى اليهود وامكاناتهم التي « لا تحد » (والتي « سيطرت » على اميركا وبريطانيا) ٠

والتلاوة التبشيرية للصيغة اللبنانية ، لم تكن تلقى على اسرائيل فحسب ، بل على العرب أيضا ، حيث حدد لهم شيحا « اللبناني » للصراع مع اسرائيل : الاعتدال والاهتمام بالاعلام والصداقات الدولية وغير ذلك ٠ (١٠) وفي لحظة من لحظات المخاطبة يبدو شيحا معلما لبنانيا أهله الموقع للاطلاع على الحضارات واللغات وأساليب السياسة مما خوله مخاطبة العرب من على منصة « فالبلدان العربية لم تدرك بعد ان خطر الدولة اليهودية أعظم ما يهددها من مخاطر » (١٠٨)

من هذا الموقع يريد شيحا للعرب الا يرجح نضالهم ضد « الغرب » (١١) على نضالهم ضد اسرائيل ، ورغم ملامات كثيرة يوجهها للسياسات الغربية عموما والاميركية خصوصا ، فهو يلتقي عند هذه النقطة مع منطق تاريخي تمسكت به الرجعيات العربية ومفاده ان بالامكان مقاتلة اسرائيل من ضمن الصداقة مع الغرب ممثلا مرة ببريطانيا ومرة اخرى بالولايات المتحدة ٠

ويحذر العرب من الاندفاع نحو « الشيوعية » ، (١٢) فـ « لاشك في ان العرب سوف يوازنون ما بين الروس والاميركيين » (١٩٤) ويوظف في هذا كل طاقته الاقناعية لبرهنة الدور الروسي ـ الاميركي في انشاء اسرائيل ، بل وأحيانا لايحاء أن اميركا ارتكبت خطأ لن يستفيد منه سوى الروس فـ « من المحتم ان الدولة اليهودية ـ كما شاءتها واشنطن وموسكو ـ ستكون مدعاة لخلاف أبدي داخل حدود الشرق الاوسط جمعاء . وخارجها ٠ أهذا ، ترى ، ما يلائم واشنطن حقا ، أم تراه يلائم موسكو ؟ » (٦٣) ٠

أما وقد قامت اسرائيل فماذا اختار شيحا ردا عليها يقي لبنان شر العثرات المقبلة ؟

ان « الحل » هنا لا يتعدى التنظير المبكر للشهابية . اي بناء جيش « يحمي الحدود » واقتصاد له توجه « انمائي » مع المحافظة الوطيدة على الصداقات والعلاقات الديبلوماسية مع الغرب (١٣) ، وبالنظر المجرد الى هذا الحل فهو يبدو أشد تماسكا من الحل الانعزالي الراهن